

## مقالات

تربيتنا يأمة القرآن  
- لا شرقية ولا غربية -  
ولكنها إيمانية وخلقية .

إعداد "الكبير المودن"

### تمهيد ..

إن إثارة موضوع "التربية في الإسلام" يجعلنا نستحضر فئة عريضة من المسلمين - أمة القرآن - كثيرا ما تستصغرون وتستتهين بأهمية هذه التربية في تنشئة الأطفال، جاهلة بأنها ضمن المسؤولية الأسرية قبل غيرها من المؤسسات .

في الواقع، ليس من المعقول أن نصبوا إلى مجت مع صالحونحن بـ صفتنا آباء وأمها ت لاندرك دورنا الأساسي في التربية ، بل تركنا الفرصة لغيرنا ليربي أولادنا بتربية غيرنا .

ولعل هذا ما سنحاول كشفه قدر المستطاع من خلال هذه الأسطر، لأن الواجب يتحتم علينا جميعا إذا أردنا أن ينشأ الطفل تنشئة إيمانية وخلقية، أن نبين بأن ديننا الحنيف يفرض علينا ثوابت لا يجب التقريط فيها بحكم متغيرات العصر، فمهما قيل عن عدم كفاءة الأسرة للقيام بدورها التربوي في عصرنا الحديث (فما زال أثر الأسرة التربوي على الطفل أثرا قويا وخصوصا في مراحل الطفولة المبكرة، وهناك العديد من الدراسات التي تؤكد مدى تأثير الأسرة على الطفل تربويا، ولعل أهم تأثير للأسرة هو في مجال القيم والعقائد والتقاليد التي يتشربها الفرد من والديه وئخوته وأقاربه عن طريق التقليد تارة والإعجاب تارة أخرى)<sup>1</sup>.

ولكن للأسف بقي الفكر العربي (غامضا مترددا وغير ملتزم تجاه متطلبات الحياة في الطفولة؛ أوروبماغير مدرك لها ولما ينجم عنها من تبعات فهولم يكن يتحسس الطفولة كمرحلة قائمة بذاتها، ذات حقوق خاصة، من أجل التكيف مع الحاضر، أو من أجل التوجه نحو المستقبل بمزيد من الأمان، وبالتالي فهولم يدرك تماما فكرة أنه متى تسنى للطفل أن يعيش طفولته على حقيقتها، فإنما يسير نحو البلوغ في طريق المستقبل بيسر وفاعلية، طفل اليوم هو الذي يصنع ر جل الـغد)<sup>2</sup> والملاحظ أن منظومتنا التعليمية توكل أمر جعل

د . عبد الرحمان النقيب ، صلاح مراد / مقدمة في التربية - وعلم النفس . منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيكو . - الطبعة - 1 الثانية /: 1989 م . ص : /39 ، بتصرف

نعيم عطية / ذكاء الأطفال من خلال الرسوم . ص : /14 ، بتصرف . دار الطليعة - بيروت ، الطبعة الأولى : مايو / 1982 م - 2

المتعلم متشعبا بعقيدته الإسلامية إلى مادة "التربية الإسلامية" وحدها، بينما نجد "مواد أخرى" تقدم - من بين ما تقدمه - محتويات تعاكس بشكل سافر، القيم والمفاهيم التي تقدمها مادة التربية الإسلامية.<sup>1</sup>

## التربية الإيمانية..

كلنا نعلم ما لمرحلة الطفولة من أهمية، وما لها كذلك من تأثير عميق في شخصية الطفل، ولهذا لا يجب انتظار أجيال صالحة إذا ما تربت بعيدا عن قيم الإسلام، كما أن التطلع إلى مستقبل أفضل لهذه الأجيال ليحتم علينا جميعا التركيز على إبراز مكامن القوة في الشخصية الإسلامية، ومنها غرس الإيمان في نفوسهم .

ونظرا لما يتلقفه الولد من مبادئ وأفكار واعتقادات على يد من يشرفون على توجيهه وتعليمه في المدرسة أواخر جها، نؤكد بأن مهمتنا في هذا العصر كبيرة جدا لغرس مبادئ التوحيد، وترسيخ قواعد الإيمان، بربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان، منها الإيمان بالله عز وجل، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب السماوية والإيمان بالرسول، إلخ... وتعويدته كذلك منذ تفهمه أركان الإسلام ومبادئ الشريعة، من عقيدة، وعبادة، وأخلاق، وغيرها .

ومن المؤكد يقينا أن الولد إذا ارتبط بروابط اعتقادية، وروابط روحية، وروابط فكرية، فإن الولد - ولا شك- يصبح عنده من مناعة الإيمان، وبر اليقين وحضانة التقوى، ما يجعله يستعلي على الجاهلية ويهزأ بها.<sup>2</sup>

ولذلك يجب التشبث بالعقيدة الصحيحة ( التي لا تشوبها شوائب باطلة، تلك العقيدة التي لها أثرها في تكوين الشخصية وتحقيق توازنها والتي تنمي فيها قوة روحية تقي المسلم من أن يكون نهبا للأيديولوجيات الهدامة، ومن القلق الذي يبدد راحة كثير من معاصرنا وأمنهم، وهذه العقيدة تغذي العاطفة الدينية في قلب الطفل تلك العاطفة التي تكون أصل سعادته).<sup>3</sup>

ومن هنا نذكر بأن (من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم وترك تعليمهم فرائض الدين و سننه، فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا).<sup>4</sup>

ومهما قلنا فلا يمنع من الانتباه إلى شيء مهم في هذا الجانب وهو الأسلوب المؤثر في الصغار، ولذلك فإن من أهم وسائل التربية المؤثرة في تكوين الولد إيمانا تربيته بالموعظة، وتذكيره بالنصيحة، لما للموعظة والنصيحة من أثر كبير في تبصير الولد حقائق الأشياء، ودفعه إلى معالي الأمور، وتحليه بمكارم الأخلاق، وتوعيته بمبادئ الإسلام.<sup>5</sup>

على كل حال فكل صبي ( أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهره نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقشه عليه، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه

1 - المنظومة التعليمية في المغرب - رؤية نقدية، بقلم: أ. عبد المجيد بنمسعود. نشر بمجلة: الهدى، العدد 34/ - 35 / ص: 51، بتصرف.

عبد الله ناصر علوان / تربية الأولاد في الإسلام - الجزء الأول والثاني، ص: / 157، 698، 769. بتصرف - 2

تربية الطفل في التشريع الإسلامي، بقلم: محمد الأجان. نشر بمجلة: دعوة الحق. العدد 5/، ص: 35/ - 3

نفس المرجع، ص: / 32<sup>4</sup>

- المرجع السابق - تربية الأولاد في الإسلام - الجزء الثاني، ص: / 653، بتصرف<sup>5</sup>

وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في توبه أبوه وكل معلم له ومؤدب؛ وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له<sup>1</sup>.

## التربية الخلقية ..

بعد أن تعرفنا ولوبنوع من الإيجاز عن التربية الإيمانية، لآبأس من الحديث الآن عن التربية الخلقية لأنها هي الأخرى لا تقل أهمية في حياة الإنسان المسلم .

وإذا كان لا بد من بداية نفتتح بها هذا الجانب، فمن الأحسن الوقوف قليلا أمام حياة الطفل منذ السنوات الأولى من عمره، لأننا سنلاحظ: بأن معالم الحياة الأخلاقية لا تظهر عنده إلا ابتداء من مرحلة ظهور العواطف المتعلقة بها، أي منذ الطفولة الثانية، فالطفل قبل هذه المرحلة يكون قد مرتجارب مع الموانع والاحباطات، أدخلت في روعه أن ثم أفعالا مقبولة ومحمودة، وأخرى مذمومة غير مرغوب فيها، وأن كلاما وعبارات مباحة وأخرى لا يتلفظ بها إلى آخر ذلك<sup>2</sup>.

وضمن هذه العلاقة الأسرية بين الطفل وأهله ( تصبح عنده الملائكة الفطرية، والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة، والاعتقاد على كل خلق فاضل كريم)<sup>3</sup>.

والفرد في تكوينه للقيم الأخلاقية يمر بمرحلتين متتابعتين، في المرحلة الأولى تكون الأخلاق مفروضة على الفرد عن طريق الجماعة، وفي المرحلة الثانية فإنه على الرغم من أن الفرد يكون قد تأثر بالقيم الأخلاقية التي فرضتها عليه الثقافة فإنه يبدأ في أن يسلك سلوكا يمكن أن نعتبره خاصا به إذ يصبح سيد أخلاقه، والأخلاق رغم هذا كله اجتماعية متصلة بالبيئة، نامية منها، فالأطفال منذ نشأتهم وهم يستجيبون لما يشجعهم عليه أفراد المجتمع<sup>4</sup>.

ولهذا فالآباء (قدوة لأطفالهما وانحطاط الأخلاق في أغلب المجتمعات الإسلامية، يسأل عنه الكبار، الذين نصحوا بألسنتهم وخالفت أفعالهم ما قالوه! وكل جهد للاصلاح ينعطف مع الريح، لأن السلوك المعوج أسبق إلى النفوس!)<sup>5</sup>.

وإذا كانت الأخلاق هي مصير الكائن الذي يبلغ تفتحه الكامل، فمن المنطقي أن التربية الخلقية مدعوة إلى أن تتابع تطوره خطوة خطوة وخاصة في الصغر، ففي ذلك الحين يمكن أن تتفتح المشاعر الطبيعية التي يؤديها ويقومها طابع المؤسسة الاجتماعية الذي تأخذه العائلة، والمهمة الأولى للعائلة إذن هي أن تحفظ وتنمي الوحدة الخلقية بين الأجيال المتعاقبة<sup>6</sup>.

وقبل أن نختم حديثنا هذا عن تربيته التي هي "التربية الإسلامية"، لا ريب من الإشارة بأن صاحب (الأخلاق الراقية لا بد أن يحب الجمال، بل إنه يحس بالجمال في سلوكه الخلقى النبيل، وكذا فإن الشخص الذي يستشعر الجمال ويقدره يكون في الغالب رقيق الشعور ويحس أن الفعل الشرير لا يتسم بالجمال، وما

1 - أبي حامد الغزالي / إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، ص: 78

2 - مبارك ربيع / عواطف الطفل ، ص: 118 . بتصرف ، الشركة المغربية للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية

3 - المرجع السابق - تربية الأولاد في الإسلام - الجزء الأول ، ص: 177

4 - محمد ليبب النجحي / مقدمة في فلسفة التربية ، ص: 370 ، 372 ، بتصرف

5 - جودة محمد عواد / حقوق الطفل في الإسلام ، ص: 38

6 - رونيه أبير / التربية العامة . ترجمة : عبد الله عبد الدائم ، ص: 490 ، 726 ، 727 ، بتصرف

دام الشعور بالجمال يساعد على الإتيان بالسلوك الأخلاقي الرفيع، فعلى التربية إذن أن تجعل من "التربية الجمالية" مدخلا إلى التربية الخلقية"، فإذا ما استطعنا أن نربط بين الجمال والأخلاق فإن التربية الجمالية سوف تخدم التربية الأخلاقية، كما أن التربية الأخلاقية سوف تخدم التربية الجمالية.

وهكذا يترتب الناشئة على التقدير الجمالي وعلى التقدير الأخلاقي في نفس الوقت دون أن يكون هناك تعارض بين هذين القطبين المتكاملين).<sup>1</sup>

وفي الأخير لا بد من الإشارة بأن ما وصلنا إليه من انحطاط خلقي، ما كان ليكون لو التزمنا بمنهج السلف الصالح، ولكننا وقعنا في المكيدة بسبب ابتعادنا عن الدين الإسلامي الحنيف، والمؤسف أن هذا الابتعاد ساعد الأعداء، وبذلك استطاعوا الوصول إلى بعض أهدافهم التي خططوا لها من قبل في تعميم ما يهدم كياننا الإيماني والخلقي.

---

<sup>1</sup> - يوسف ميخائيل أسعد / سيكولوجية النمطية والإبداعية، ص: / 188 - 189 ،